Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أوضحنا أصولها بما لا يحتاج معه إلى تكرار القول فيها ، وفى ضوء هذا الذى ذكرناه لا يلوح لنا أن ثمة علاقة بينها وبين أى فكرة من الأفكار التى جاءت فى كتابى « الخطابة » و « الشعر » سواء عند أرسطو أم عند ابن سينا ؛ فالفكرة فى جملتها وتفصيلها كيان عربى صميم نلمح بذورها فى قول العتابى الذى عاش فى القرن الثانى الهجرى : « الألفاظ أجساد ، والمعانى أرواح ، وإنما تراها بعيون القلوب فإذا قدمت منها مؤخرا ، أو أخرت منها مقدما أفسدت الصورة وغيرت المعنى ، كما لو حول رأس إلى موضع يد ، أو يد إلى موضع رجل ، لتحولت الخلقة ، وتغيرت الحلية »(٢٥٣) ، ثم عمقتها محاولات الدفاع عن القرآن والكشف عن وجوه إعجازه البيانى ، تلك القضية التى شغل بها المتكلمون وعلماء البيان معا قبل عبدالقاهر بزمن طويل ، وصنفوا فيها كتبا تحمل فى عناوينها هذه الكلمة ، لكن هذه الكتب فقدت ضمن ما فقد من أمهات كتب التراث العربى والإسلامى كما أسلفنا . وهكذا تقدم عبدالقاهر بتفكيره البلاغى الخصب إلى هذا الموضوع متكئا على رصيد ضخم من كتابات السابقين من المتكلمين وغيرهم فى الإعجاز البلاغى . ثم كان هو نفسه متكلما على مذهب الأشاعرة ، فإذا أضفنا إلى ذلك أنه كان عالما ضليعا فى علم النحو ، وانه ألف فيه أكثر مما ألف فى البلاغة(٢٥٤) أدركنا أن تطويره لتلك الفكرة ، وصقله إياها ، وإخراجه لها فى هذه الصورة التى تمتزج فيها البلاغة بالنحو أمر يتفق مع منطق الأشياء ، لاسيما مع ما تمتع به من ألمعية ، وفطنة ، وحس أدبى نفاذ . ولا حاجة لنا بعد ذلك إلى أن نتلمس أصلا لهذه الفكرة فى فكرة « الوحدة » فى الشعر عند كل من أرسطو وابن سينا — كما فعل الدكتور شكرى عياد — وتحديد الفرق بين الفكرتين فى « أن عبدالقاهر حصر الوحدة فى الجملة ولم يمد نطاقها إلى القطعة الكاملة »(٢٥٥) . واستمرارا فى هذه المحاولة رأى الدكتور شكرى أن عليه أولا أن يوجد أساسا للعلاقة بين الفكرتين ، فذهب إلى أن « نظرية النظم ما كانت لتتم لو لم تسترفد من بين ما استرفدت أصلا

---

(٢٥٣) الصناعتين ص ١٦٧ .

(٢٥٤) من مؤلفاته النحوية : المغنى (ثلاثون مجلدا وهو شرح للايضاح فى النحو لأبى على الفارسى) والعوامل المائة فى النحو ، والعمدة فى التصريف ، والجمل فى النحو .. الخ انظر انباه الرواة للقفطى ص (٣) .

(٢٥٥) انظر كتاب ارسطوطاليس فى الشعر تحقيق وترجمة الدكتور شكرى عياد ص ٢٤٠ .